

الآيات التي عرضت شخصية المرأة في سورة القصص: دراسة بيانية

The qur'anic verses that presented the personality of the Muslim women in surah al-Qasas/ the eloquence statement study

سناء أبو صعيليك

Sanaa Abu suailiq

قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن

Department of Foundations of Religion, School of Sharia, University of Jordan, Jordan

الباحث المراسل: dr_sana1986@yahoo.com

تاريخ التسليم: (2018/12/2)، تاريخ القبول: (2019/2/26)

ملخص

يتناول هذا البحث دراسة الآيات التي عرضت شخصية المرأة المسلمة في سورة القصص، من حيث أدوارها المختلفة، أمّاً وزوجة وأختاً وبناتاً، والوقوف على مظاهر الإعجاز البياني فيها، من خلال ما تضمنه النظم البديع من إشارات ولفظات احتوت ثوابت وقيم، تشكل منارة هادية للمرأة المسلمة، والنهوض بدورها في المجتمع المسلم؛ لتقديم النموذج الأسوة الصالح للاقتداء على مر الأزمان والعصور؛ تأكيداً على ربانية القرآن وإعجازه وتفردته.
الكلمات المفتاحية: الإعجاز البياني، شخصية المرأة، سورة القصص.

Abstract

This study deals with the study of the Quranic verses that presented the personality of the Muslim woman in Surat Al-Qasas, in terms of her different roles as a wife, a sister and a daughter alsos to stand on the manifestations of eloquence in it included in the systems of the beautiful signs and gestures contained constants and values constitute the lighthouse guidance for Muslim women and to enhance her role in the Muslim community to present the model as a good example to be followed

throughout the eras and ages, emphasizing the divineness of the Qur'an and its miraculous nature and uniqueness.

Keywords: Eloquence of the statement, the personality of the woman, Surah Al-Qasas.

المقدمة

غنيٌّ عن القول إن القرآن الكريم معجزة بشرية ودستور الحياة الشامل لا تتقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، يجد فيه مرتادوه بغيتهم وإن اختلفت غاياتهم ومشاربهم .

ولا ريب أن الإعجاز البياني هو الوجه الأظهر والأبرز، وله استسلم العرب الأقحاح أساطين البلاغة وأرباب البيان.

والحق أن من أهم الموضوعات الحرّية بالبحث المتعلقة بهذا الوجه موضوع القصة القرآنية التي استغرقت مساحة واسعة من القرآن الكريم؛ لما لها من عظيم الأهداف والغايات الدعوية والتربوية، ناهيك عن المصادقية والواقعية والمتعة والفائدة ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 3].

هذا ولقد حظيت المرأة بنصيبها من هذا القصص، فجاءت هذه الدراسة لتقف على شيء من رونق الأسلوب وروعة النظم وجمال الصورة في الآيات التي عنيت بذكر المرأة كما هو الحال في القصص القرآني بشكل عام .

ولقد كان للمرأة المسلمة في سورة القصص حضوراً مميزاً، مما يصلح أن يكون أنموذجاً للاقتداء ومدرسةً تنهل من فيض علومها كافة النساء في الآيات المعودة التي اختصت بهذا الجانب.

الدراسات السابقة

لا شك أن معظم التفاسير البيانية كتفسير الكشاف للزمخشري، وروح المعاني للآلوسي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود العمادي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وغيرها من التفاسير البيانية تشكل دراسات سابقة ومراجع أصيلة وهامة في هذا الموضوع، بيد أن المراد بالدراسات السابقة أكثرها قرباً واختصاصاً بالموضوع ولعل أقرب هذه الدراسات مما يصلح أن يكون دراسة سابقة لهذا البحث كتابان:

الكتاب الأول: كتاب تفسير سورة القصص دراسة تحليلية للدكتور محمد مطني الدليمي، وهو موجود على الشبكة العنكبوتية في موقع صيد الفوائد¹، وقد تناول الكاتب فيه أصول التفسير التحليلي لآيات سورة القصص ومن ضمنها العناية بالجانب البياني فيها.

(1) موقع مكتبة صيد الفوائد: <http://www.saaaid.net/book/open.php?cat=101&book=918>

الكتاب الثاني: كتاب تفسير سورة القصص، دراسة تحليلية موضوعية للدكتور أحمد نوفل⁽¹⁾، وهو من منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم في الأردن، وكما يتضح من العنوان فالكتاب يشكل دراسة تحليلية موضوعية لسورة القصص.

والحق أن هذين الكتابين من المراجع الجيدة في هذا الموضوع وأُفدت منهما، في حين اختص هذا البحث بدراسة الآيات التي عنيت بشخصية المرأة دراسة تفصيلية بيانية على وجه الخصوص فما جاء عاماً في هاتين الدراستين كان هنا محور البحث تأصيلاً وتفصيلاً.

مشكلة الدراسة

تجيب هذه الدراسة على مجموعة من الأسئلة أبرزها:

- ما مدى عناية سورة القصص بشخصية المرأة المسلمة؟
 - وما مناسبة مجيء الآيات المتعلقة بشخصية المرأة في سورة القصص؟
 - وما هي أدوار المرأة المسلمة في السورة؟
 - وكيف بيّن النظم القرآني القيم التربوية التي اشتملت عليها الآيات؟
 - وما مدى إنزال هذه القيم والإفادة منها في واقع المرأة المسلمة؟
- وفي ضوء ذلك تأتي هذه الدراسة محاولة لاستشراف مظاهر الإعجاز البياني هذه الآيات وبيان عميق تأثيرها في النفس من خلال ما جاء فيها من فرائد وفوائد وما اشتملت عليه من قيم.
- هذا وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع تقسيمه لمقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

- المقدمة وقد اشتملت على توطئة عن الدراسة وأهميتها وأسبابها.
- **المبحث الأول: التعريف بالإعجاز البياني والتعريف بسورة القصص، وفيه مطلبان:**
 - المطلب الأول: التعريف بالإعجاز البياني وعلاقته بأنواع الإعجاز الأخرى
 - المطلب الثاني: التعريف بسورة القصص ومناسبة ذكر القصص المتعلق بالمرأة فيها
- **المبحث الثاني: مظاهر الإعجاز البياني في الآيات التي تعرض شخصية المرأة بأدوارها المختلفة في سورة القصص وما جاء فيها من قيم:**
 - المطلب الأول: دور المرأة الأم «أم موسى»
 - المطلب الثاني: دور المرأة الزوجة «زوجة فرعون»

(1) نوفل، أحمد إسماعيل، تفسير سورة القصص، دراسة تحليلية موضوعية، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، الطبعة الأولى 2005م.

- المطلب الثالث: دور المرأة الأخت: «أخت موسى»
- المطلب الرابع: دور المرأة الابنة «ابنتنا الرجل الصالح»:
- وينتهي البحث بخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول: التعريف بالإعجاز البياني والتعريف بسورة القصص

بادئ بدء لا بد من الوقوف والتوضيح لمحددات البحث، مما يصلح أن يكون مدخلا وتمهيدا بين يدي هذه الدراسة، فلا بد من تعريف الإعجاز البياني والتعريف أيضاً بسورة القصص في هذين المطلبين.

المطلب الأول: التعريف بالإعجاز البياني وعلاقته بأنواع الإعجاز الأخرى

التعريف بالإعجاز البياني

غني عن البيان إن الإعجاز في اللغة يعني العجز والتأخر والضعف والقصور، يقول ابن فارس: «العين والجيم والزاي أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء»⁽¹⁾.

والبيان في اللغة: الكشف والإيضاح، وأما في الاصطلاح فهو قسم علم المعاني ويعرف بأنه: «إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف عن ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه، وتارة يكون بالاستعارة وتارة يكون بالتشبيه وتارة بالكناية»⁽²⁾.

غير أن هذا المعنى للبيان ليس هو المراد بالنسبة للإعجاز البياني في القرآن، وإنما هو جزء منه، فقد استقر الأمر عند المحققين أن جوهر الإعجاز البياني يقوم على فكرة النظم، والنظم كما عرفه الجرجاني: «تعليق الكلام بعضه... والتصرف فيه بالتعريف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار فيصيب بكل من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له»⁽³⁾.

- (1) بن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، مادة عجز مقاييس اللغة (4/ 232).
- (2) القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين (ت: 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، ط 3، ص 187، وانظر أيضاً، السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (ت: 626هـ)، مفتاح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1407 هـ - 1987 م، (ج 1/ص70).
- (3) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، (ت: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق أحمد شاکر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة 1413 هـ - 1992م، ص55، و ص81-82.

فهو يتضمن الكلمة في موضعها من حيث هي دون غيرها وعلاقتها مع غيرها وتناسقها مع سياقها وبنيتها، والحرف في مكانه ورسالته التي يؤديها دون غيره من الحروف، والجملة من حيث صياغتها وترابطها وتناسق كلماتها وما اشتمل عليه تركيبها، «حتى إنها لتختلف ولا تراها إلا متفكة وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة، وتذهب في طبقات البيان وتنتقل في منازل البلاغة... وهذه هي روح التركيب التي لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن وبه عرف نظمه وخرج مما يطيقه الناس»⁽¹⁾.

علاقة الإعجاز البياني بأنواع الإعجاز الأخرى

لما أن كان الوجه البياني هو الوجه الرئيس في إعجاز القرآن فإن له أعظم الصلة بوجوده الإعجاز الأخرى؛ ذلك أنه الوعاء والقالب الذي صيغت من خلاله تلك الوجوه، وينتظم بجرسه وإيقاعه مضمونها، فيزيدها إيضاحاً وكشفاً لما تحويه من المعاني.

يقول الدكتور فضل عباس: «إن أعظم وجوه الإعجاز البياني؛ لأنه ينتظم القرآن الكريم كل سوره طويلاً وقصراً، أما الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك، فأبناء الغيب مثلاً ليست موجودة في كل آية من القرآن، وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه وأعمها، بل هو أتمها؛ لأنه عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها... وليس كذلك الوجوه الأخرى»⁽²⁾.

المطلب الثاني: التعريف بسورة القصص ومناسبة ذكر القصص المتعلقة بالمرأة فيها

أولاً: سورة القصص هي السورة الثامنة والعشرون في ترتيب المصحف سميت بهذا الاسم وليس لها اسم آخر، يقول ابن عاشور: «سميت سورة القصص ولا يعرف لها اسم آخر، ووجه التسمية بذلك وقوع لفظ القصص فيها عند قوله تعالى: ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ [القصص: 25]. فالقصص الذي أضيفت إليه السورة هو قصص موسى الذي قصه على شعيب عليهما السلام فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها، فلما حكى في السورة ما قصه موسى كانت هاته السورة ذات قصص لحكاية قصص، فكان القصص متوغلاً فيها، وجاء لفظ القصص في سورة يوسف ولكن سورة يوسف نزلت بعد هذه السورة، وهي مكية في قول جمهور التابعين»⁽³⁾.

(1) الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثامنة - 1425 هـ - 2005 م (ص192_195).

(2) عباس، فضل حسن (ت:1433هـ، 2011م)، القصص القرآني إبحاره ونفحاته، عمان، دار الفرقان، ط2، 1992م، ص155.

(3) ابن عاشور، محمد بن محمد الطاهر الطاهر التونسي (ت: 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس 1984 هـ، (20/61).

ثانياً: مناسبة ذكر القصص المتعلقة بالمرأة فيها

جاء دور المرأة في سورة القصص في سياق قصة موسى، وهي ركيزة أساسية في أحداث القصة وأحد الأركان المهمة فيها بدءاً بأمر موسى وأخته، ثم زوجة فرعون، ثم ابنتي الرجل الصالح في مدين.

وقد تميزت قصة موسى في هذه السورة عن غيرها من سور القرآن أنها عرضت مشهد ميلاده وما أحاط به من ظروف ومن ثم فتوته وشبابه بقول سيد قطب: «ولقد كانت قصة موسى- عليه السلام- تبدأ غالباً في السور الأخرى من حلقة الرسالة- لا من حلقة الميلاد- حيث يقف الإيمان القوي في وجه الطغيان الباغي ثم ينتصر الإيمان وينخذل الطغيان في النهاية، فأما هنا فليس هذا المعنى هو المقصود إنما المقصود أن الشر حين يتمخض يحمل سبب هلاكه في ذاته والبعي حين يتمرد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر بل تتدخل يد القدرة وتأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم، فتتقدهم وتستنفذ عناصر الخير فيهم، وتربيهم، وتجعلهم أئمة، وتجعلهم الوارثين.

فهذا هو الغرض من سوق القصة في هذه السورة ومن ثم عرضت من الحلقة التي تؤدي هذا الغرض وتبرزه، والقصة في القرآن تخضع في طريقة عرضها للغرض المراد من هذا العرض فهي أداة تربية للنفوس، ووسيلة تقرير لمعان وحقائق ومبادئ، وهي تتناسق في هذا مع السياق الذي تعرض فيه، وتتعاون في بناء القلوب، وبناء الحقائق التي تعمر هذه القلوب،

والحلقات المعروضة من القصة هنا هي: حلقة مولد موسى- عليه السلام- وما أحاط بهذا المولد من ظروف قاسية في ظاهرها، وما صاحبه من رعاية الله وعنايته. وحلقة فتوته وما آتاه الله من الحكم والعلم، وما وقع فيها من قتل القبطي، وتأمير فرعون وملئه عليه، وهربه من مصر إلى أرض مدين، وزواجه فيها، وقضاء سنوات الخدمة بها. وحلقة النداء والتكليف بالرسالة، ثم مواجهة فرعون وملئه وتكذيبهم لموسى وهارون⁽¹⁾.

ولقد أطل السياق في عرض الحلقة الأولى والحلقة الثانية- وهما الحلقتان الجديدتان في القصة في هذه السورة- لأنهما تكشفان عن تحدي القدرة السافرة للطغيان الباغي، وفيها يتجلى عجز قوة فرعون وحيلته وحذره عن دفع القدر المحتوم والقضاء النافذ: ﴿ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾⁽²⁾.

وعن اهتمام القرآن بعرض دور المرأة في القصص القرآني بشكل عام تقول الدكتورة سعاد الحكيم: «إن توجيه الخطاب للمرأة في النصوص القرآنية حظي بأسلوب إلهي خاص جدير بالدراسة استناداً إلى ظواهر النصوص وبواطنها، ذلك أن آيات المعنى تشير خلافاً إلى ما يزعمه

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي ط12، 1412هـ، (5/ 2676)

(2) ينظر المرجع السابق (5/ 2676)

مبغضو الإسلام إلى أن المرأة في الخطاب القرآني الموجه لها حظيت بالإكرام الذي ما بعده إكرام»⁽¹⁾.

وفي العرض القرآني لدور المرأة في سورة القصص والمسؤولية التي أنيطت بها والمهام التي تقع على عاتقها ما يجسد ذلك الإكرام والاهتمام والتقدير، والتميز في العرض والتصوير.

المبحث الثاني: الإعجاز البياني في الآيات التي تعرض شخصية المرأة بأدوارها المختلفة في سورة القصص وما جاء فيها من قيم

تنوعت أدوار المرأة المسلمة في سورة القصص، وظهرت شخصيتها بكل وضوح وأدت دورها على أكمل وجه، وقد سجلت الآيات ذلك بدءاً بالأُم الصابرة المحنسة الممتلئة لأمر الله، والأخت الحصيصة النبيلة في أسرة نبي الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ومن ثم دور زوجة فرعون وحسن تدبرها في إيواء نبي الله موسى طفلاً، وانتهاءً بابنتي الرجل الصالح فتاتي مدين.

المطلب الأول: دور المرأة الأم «أم موسى»

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ (8)﴾ [القصص: 7-8].

تصور الآية في عرضها لقصة أم موسى نموذج الأم المؤمنة المتوكلة على الله حق التوكل المتوجهة إليه حق التوجه المؤمنة به تمام الإيمان.

يقول الدكتور فضل عباس عن هذه الآية: «وما أعظم هذه الآية في إبحانها وألفاظها وإعجازها!»⁽²⁾.

فأما قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: جمهور المفسرين على أن الوحي هنا هو الإلهام والإلقاء بالروح⁽³⁾، وإضافة فعل الوحي إلى نون العظمة العائدة إليه سبحانه تعظيماً لشأن هذا الوحي الذي هو من لده سبحانه خالق هذه النفس ومدبر أمرها والعالم بما فيه خيرها وصالح أمرها.

«وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وشارتان والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف غم يلحق بالإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده

(1) الحكيم، سعاد، خطاب المرأة القرآني، بيروت، دار المعرفة الطبعة الأولى، 1988 م: ص 88 – 89، وينظر أيضاً: سورة القصص دراسة تحليلية (ج 1/ص 145).

(2) عباس، فضل حسن، القصص القرآني، إياؤه ونفحاته دار الفرقان، عمان ط2، 1992م، ص 306.

(3) يُنظر أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي (ت: 745 هـ) البحر المحيط في التفسير، تحقيق، صدقي محمد جميل دار الفكر، بيروت ط1420 هـ، (8/ 286)، وأبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710 هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ، 1998 (2/ 628).

إليها وجعله من المرسلين»⁽¹⁾، وجاءت البشارة مؤكدةً بأداة التوكيد (إنّا) والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار.

يقول البقاعي: «ولما كان الخوف عما يلحق المتوقع، والحزن عما يلحق الواقع، علل نبيه عن الأمرين، بقوله في جملة اسمية دالة على الثبات والدوام، مؤكدة لاستبعاد مضمونها: (إنّا رادوه إليك) فأزال مقتضى الخوف والحزن؛ ثم زادها بشرى لا تقوم لها بشرى بقوله: (وجاعلوه من المرسلين*)»⁽²⁾.

ومن محاسن البديع في نظم الآية فن الاحتباك⁽³⁾: «وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول وبيانه في الآية أنه ذكر الإرضاع أولاً دليلاً على تركه ثانياً، والخوف ثانياً دليلاً على الأمن أولاً، وسرّه أنه ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها وتسكيناً لرعياها»⁽⁴⁾.

(8) [الفصص: 8] ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ

وفي: قوله ﴿فالتقطه آل فرعون﴾: إيجاز بالحذف تقديره: ففعلت ما أمرت به من إرضاعه ومن إلقائه في اليم.

و«الالتقاط» اللقاء على غير قصد وروية، ومنه قول الشاعر نقادة الأسدي:
ومنهل وردته التقاطا ... لم ألق إذ وردته فراطاً⁽⁵⁾.

أما اللام في ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ فهي للتعليل المجازي، وتسمى لام العاقبة أو لام الصيرورة، والمعنى: أنه لما كان مآل التقاطه وتربيته إلى كونه عدواً لهم وحزناً، وإن كانوا لم يلتقطوه إلا للتبني⁽⁶⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾: جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه، مؤكدة لمعنى خطئهم وبالاسمية لثبوته واستقراره فيهم، يقول الزمخشري «وما أحسن نظم هذا الكلام عند المتراض بعلم محاسن النظم»⁽⁷⁾.

- (1) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2/ 629)
- (2) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، (14/ 245)
- (3) «قال عنه الأندلسي في شرح البديعية: من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول»: الإتيان في علوم القرآن (3/ 204)
- (4) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2/ 629)
- (5) انظر ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 277)
- (6) ينظر أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (8/ 287)
- (7) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتب العلمية بيروت 1995، ط1، (3/ 395)

هذا هو المشهد الأول في القصة، مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر المثبت المريح؛ فقد وكلت أمر حفظه إلى العناية الإلهية

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان⁽¹⁾

وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور بردا وسلاما، ولا يذكر السياق كيف تلقت أم موسى، ولا كيف نفذته، إنما يسدل الستار عليها، لينتقل إلى حالها بعد أن امتثلت للإيحاء، وألقت بطفلها إلى الماء⁽²⁾.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11)﴾ [القصص: 10، 11].

والنظم القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية: «فارِعًا»: صفرًا من العقل لا وعي فيه ولا قدرة على نظر أو تصريف!، والمعنى: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والخوف والدهش⁽³⁾.

والتعبير ب الفؤاد الذي هو القلب؛ ذلك لأن القلوب مراكز العقول، على حد قوله سبحانه: ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾⁽⁴⁾.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

إن كادت لتبدي به وتذيع أمره من حيث ضعف البشرية، ولكن الله ربط على قلبها وثبتها⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: دور المرأة الزوجة «زوجة فرعون»

وأما عن دور زوجة فرعون في سورة القصص فيبدو واضحاً جلياً في إقناع فرعون وملئه باحتضانها لموسى عليه السلام وعدم قتله؛ وتنفيذهم لمرادها الذي هو تدبير الله.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9)﴾ [القصص: 9، 10].

(1) ينظر ديوان اليافي، عمر، موجود على الشبكة العنكبوتية: <https://rashf.com/book/19624> والأبيات كما جاءت في الديوان:

وإذا العناية لاحظتك عيونها لا تخش من بأس فأنت تصان
ويكل أرض قد نزلت قفارها نم فالمخاوف كلهن أمان

(2) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن (5/ 2679)

(3) انظر الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 395)، وسيد قطب في ظلال القرآن (5/ 2679)

(4) انظر الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 395)

(5) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ) لطائف الإشارات، ط3، (3/ 56)

وقد شاعت قدرة المولى عز وجل أن يمكن لنبيه في قصر عدوه وشاءت حكمته أن تكون زوجة فرعون سبباً لذلك عندما أوقع الله محبته في قلبها، ألم يقل سبحانه في سورة طه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةَ مَنِي﴾ [طه: 39].

وفي كلام زوجة فرعون الذي سجله القرآن من الاستجداء والحرص والإقناع ما جعل القوم يعرضوا عما أرادوا، يقول صاحب كتاب الصورة والتشخيص: «نجد أن مشهد صورة هذا القول الكريم من «امرأة فرعون» هو مشهد شاخص بكل جوانب الصورة، فيكاد القارئ للنص أن يحسّ بمشاعر (امرأة فرعون) ، وقلقها أمام فرعون وكبار قومه وآله»⁽¹⁾.

ويتبين ذلك من خلال القضايا التالية:

أولاً: ابتدأت بقولها «قرة عين لي ولك»: وفي التقديم والتأخير ما له عظيم الأثر في المعنى فقد قدمت نفسها عليه، ﴿لي ولك﴾ وكأنها خشيت إن قالت: «لك ولي» أن ينفي رغبته فيقول: لا حاجة لي بذلك، ويحول دون احتضانها لموسى عليه السلام.

وقد صدق حدسها فيه بالنسبة لها لا له فكان لها ما ارتجت، وكان لها نجاة من النار إذ آمنت بموسى عليه السلام⁽²⁾، ويذكر لها القرآن ذلك: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (11).

ثانياً: أردفت لتجعل ما سبق علّة في منع ما سيلحق به ناهيةً إياهم بصريح العبارة عن قتله ﴿لا تقتلوه﴾ وكأنهم شرعوا بذلك كما هو دينهم، يقول البيضاوي: « لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم»⁽³⁾.

ثالثاً: استمالت قلب زوجها واستعطفته مبررة أنها ترجي نفعه، لأنه ليس لها ولد ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾، يقول المطعني: « وفي قولها: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ ما يشعر من خلال استخدام لفظة (عسى) بمحاولتها التأثير عليهم نفسياً بأسلوب الترجي، وفي قولها: ﴿أَوْ نَتَّخِذُهُ وُلْدًا﴾ جعلت الصورة مصورة أمام عين فرعون، الذي يبدو أنه لم يكن له (ولد) وتأخيرها جعل موسى ولداً على رجاء النفع منه، فيه نكتة بلاغية جميلة في أسلوب الحث على فعل شيء ليكون الطلب بالتدريج»⁽⁴⁾.

ختم الآية الكريمة ﴿وهم لا يشعرون﴾: جملة استئنافية والمعنى أن قوم فرعون لا يعلمون تدبير الله بأن هذا الصبي سيهدم ملكهم وينهي ظلمهم.

(1) ينظر عبد الحكيم، سليمان، الصورة والتشخيص البياني في القرآن الكريم، بيروت، لبنان الطبعة الأولى. 1994 م، ص257-260.

(2) يُنظر نوفل، أحمد إسماعيل ، تفسير سورة القصص دراسة تحليلية موضوعية، مركز حراء القرآني، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط1، 2005، ص239-240.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (4/ 172)

(4) سورة القصص دراسة تحليلية (1/ 111).

المطلب الثالث: دور المرأة الأخت: «أخت موسى»

(وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13)) [القصص: 12، 13].

التحريم: استعارة للمنع لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه، كقولهم: محظور⁽¹⁾ فهو تحريم منع لا تحريم شرع كما قال امرؤ القيس:

جالت لتصر عني فقلت لها اقصري ... إني امرؤ صرعي عليك حرام⁽²⁾.

وفي إسناد الفعل لنون العظيمة العائدة إليه سبحانه؛ تعظيماً لقدرة الله التي حالت دون قبول سيدنا موسى عليه السلام لأي مرضعة.

وينقل المفسرون عن ابن عباس قوله أنه «لا يؤتى بمرضعة فيقبلها»⁽³⁾.

(مِنْ قَبْلٍ): أي من قبل مجيء أخته أو من قبل رده إلى أمه⁽⁴⁾.

وأما قوله على لسان أخت موسى «فقال هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم»: ففيه من براعة الأسلوب والحكمة ما فيه، ويمكن استشراف مظاهر النظم القرآني في وصف الأسلوب المتميز الذي سلكته الأخت تنفيذاً لوصية الأم وبداع من مشاعر الأخوة لكي تتقذ أخاها من قوم فرعون؛ كل ذلك بقال أصاب محز البلاغة وبكلام هادي يعكس فطنةً ونباهةً واتزاناً حرصت فيه الأخت ألا تكشف حقيقة النسب والقربان ومشاعر الحرص والأخوة.

وتسجل الآيات هذه الفطنة والنباهة في الحوار من خلال أمرين:

الأمر الأول: التعميم في ذكر المعلومة ودقة التعبير؛ في البداية تعرض خدمتها بقولها: (هل أدلكم على أهل بيت)، ولم تقل إلى أم وإنما عممت القول: أهل بيت.

ثم التعميم مرة أخرى بقولها: (يكفلونه لكم) فلم تقل يرضعونه لكم؛ فكل كلمة محسوبة وقد تكلفها ما لا يحمد عقباه مما يقتضي الوعي واليقظة والحيطة والحذر.

وفي انتقاء كلمة (يكفلونه لكم) من حيث مادة الفعل وصيغته ما لا يدع مجالاً للشك في الأمر أو أدنى ريبه بقرابتها لموسى.

(1) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 396)

(2) ينظر المتوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (المتوفى: 450هـ) تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، تحقيق، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت (4/ 239).

(3) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م (19/ 533).

(4) انظر الماوردي، النكت والعيون (4/ 239)

فأما من حيث مادة الفعل فالكفالة تعني الضمان، وكفالة الصغير تربيته والإنفاق عليه وفي التنزيل العزيز ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾⁽¹⁾، فطلبها كفالته لأجلهم ﴿لكم﴾ تقطع أي صلة لها به.

وأما من حيث الصيغة فقد جاءت بالمضارع الدال على تجدد الفعل ما تجددت الرغبة من آل فرعون باستمرار كفالته.

وعليه فالفعل بمادته وصيغته يقطع الريبة في نفوس القوم تجاه هذه الأخت الحصيصة.

الأمر الثاني: وصف أهل البيت الذين سيكفلونه بأنهم من أهل الإخلاص والنصح زيادة في الترغيب بهم بالجملة الإسمية ﴿وهم له ناصحون﴾⁽²⁾.

وفي ضوء ما تقدم إشارات ولفئات تمثل خير دليل للمرأة المسلمة في خطابها وحوارها، فهي عفيفة اللسان مترفعة عن اللغو فطنة في انتقاء القول حكيمة في عرضه، وإلى ذلك أشار الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام في التوجيه النبوي الحكيم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»⁽³⁾.

المطلب الرابع: دور المرأة الابنة «ابنتا الرجل الصالح»:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

ومن روعة الأسلوب في الآية الكريمة حذف المفعول في أربعة أفعال: ﴿يَسْقُونَ﴾ ﴿تَذُودَانِ﴾ ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ ﴿لَا نَسْقِي﴾.

يقول الجرجاني: «فيها حذف مفعول في أربعة مواضع، إذا المعنى: (وجد عليه أمة من الناس يسقون) أغنامهم أو مواشيهم و (امرأتين تذودان) غنمهما و (قالتا لا نسقي) غنمنا (فسقى لهما) غنمهما، ثم إنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقاً، وما ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود،

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، دط، (2/ 793)

(2) ينظر نوفل، أحمد إسماعيل، تفسير سورة القصص دراسة تحليلية موضوعية، ص243.

(3) الحديث أخرجه البخاري، في كتاب الأدب (21: 1) ومسلم في الإيمان (20: 2) عن أبي بكر بن أبي شيبة - كلاهما عنه به. وابن ماجه في الفتن (12: 5).

وأنها قالتا: لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى عليه السلام من بعد ذلك سقي، فأما ما كان المسقي؟ أغنما أم إبلا أم غير ذلك، فخارج عن الغرض»⁽¹⁾.

قال ابن عباس وغيره: تذودان غنمهما عن الماء خوفاً من السقاة الأقوياء، وقال قتادة: تذودان الناس عن غنمهما، قال الزجاج: وكأنهما تكرهان المزاحمة على الماء⁽²⁾.

«قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير»: جملة تعليلية لبيان سبب مباشرتهما السقي بأنفسهما، يقول صاحب البحر المحيط: «اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بأنفسهما، وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقي لشيخه وكبره، واستعطاف لموسى في إعانتهم»⁽³⁾.

فسقى لهما: «أي سقى غنمهما لأجلهما»⁽⁴⁾.

يقول النسفي: «وإنما رضي شعيب عليه السلام لابنتيه بسقي الماشية لأن هذا الأمر في نفسه ليس بمحظور والدين لا ياباه وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة»⁽⁵⁾.

وفي الآية الكريمة على لسان هاتين المرأتين ما يظهر التعفف وصون النفس مما يُضرب به المثل ويحسن التأسى به في مجتمع النساء، ويصلح أن يكون مثلًا للاقتداء.

وللشيخ الشعراوي كلامٌ جميل معلقاً على هذه الآية، يقول فيه: «معنا إذن في هذه القصة أحكام ثلاثة لا نسقي حتى يصدر الرعاء»: أعطت حكماً و «وأبونا شيخ كبير»: أعطت حكماً و «فسقى لهما»: أعطت حكماً ثالثاً، وهذه الأحكام الثلاثة تنظم للمجتمع المسلم مسألة عمل المرأة، وما يجب علينا حينما تضطر المرأة للعمل، فمن الحكم الأول نعلم أن سقي الأنعام من عمل الرجال، ومن الحكم الثاني نعلم أن المرأة لا تخرج للعمل إلا للضرورة، ولا تؤدي مهمة الرجال إلا إذا عجز الرجل عن أداء هذه المهمة»⁽⁶⁾.

(1) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الفارسي، (ت: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة 1413 هـ - 1992م، (1/ 161).

(2) انظر أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (8/ 296).

(3) المرجع السابق (8/ 298).

(4) المرجع السابق (8/ 297).

(5) النسفي، مدارك التنزيل وحفائق التأويل (2/ 636)، ومن الجدير بالذكر أن ما ذهب إليه كثير من المفسرين أن الرجل الصالح هو شعيب كلامٍ عارٍ عن الدقة تسرب من الأسرائيليات، فلو كان شعيباً لذكره القرآن، ثم إن الزمن بين موسى وشعيب طويل، ذلك أن شعيباً قريب من لوط ولوط مزامن لإبراهيم، ولا شك أن الفارق الزمني طويل بين موسى وإبراهيم، انظر أحمد نوفل، سورة القصص دراسة تحليلية، ص 263.

(6) الشعراوي، محمد متولي (ت: 1418 هـ) تفسير الشعراوي، الخواطر، 1997، ط 1 (17/ 109).

أما قوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ تقدم هذه الآية أرقى نموذج تتأسى به المرأة المسلمة، كيف لا وقد قرّرت وقعدت وأثنت على خلق الإسلام وقطرة المرأة ألا وهو الحياء.

وبيان مظاهر إعجاز النظم في الآية حقيقاً أن يُمدّ فيه أطناب الإطناب.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي﴾ في الكلام حذف، والتقدير: فذهبتا إلى أبيهما من غير إبطاء في السقي، وقصتنا عليه أمر الذي سقى لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له، فجاءته إحداهما⁽¹⁾.

وفي الآية مشهد تصويري يُصور لنا امرأة كلها حياء وعفة (تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ).

فلو وقف القارئ على كلمة (تمشي) لكان الحياء عائداً على القول (على استحياء قالت)، ولو وقف على (تمشي على استحياء) لفهم أن الحياء عائداً على المشية، ولا شك أن كلا المعنيين مراد؛ إشارةً إلى أن الحياء من جبلة المرأة ويحكم قولها وفعلها⁽²⁾.

ثم إن استعارة الفعل المضارع الحقيقي تمشي، ونقل (على) من الأرض المحذوفة إلى (استحياء) بالتكثير يُشعر بفخامة القصد المراد، يرينا صورة بلاغية أعجزت الأولين والآخرين⁽³⁾.

يقول الدكتور حسن رفاعي: «إن المتتبع لقوله تعالى: (تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) لا يجد لها نظيراً في كافة التعبيرات الإنشائية البلاغية؛ وما ذلك إلا لأن استعارة الشيء الحقيقي لمجازية الاستحياء مشعرة بالتصوير البياني الخاص بالصورة الفنية بكل أوجهها من حقائق السير إلى مجازات الحياء بأنواعه، فالآية بذلك قمة من قمم الإعجاز التصويري القرآني»⁽⁴⁾.

كما أن في استخدام المصدر المزيد بأحرف الزيادة (اسْتِحْيَاءٍ)، ولم يستخدم ألفاظ أخرى مثل (تمشي على حياء)، أو (تمشي على خجل) أما استخدام (حياء) فإن المصدر المزيد أبلغ في دلالاته من المصدر العادي، لأن زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني، على ما قاله اللغويون، فناسبت شدة الحياء أن يجاء لها بمصدر مزيد (اسْتِحْيَاءٍ) أما الخجل فإنه أخص من الحياء الذي هو أعم، فالخجل يكون من أمر معين، أما الحياء فإنه خصلة في الذات، وهو إحدى شعب الإيمان، لذلك كان استخدام النكرة المصدرية المزيدة (استحياء) أبلغ من أي استخدام آخر، وإن استخدام صيغة (استفعل) تدلّ على الطلب فكأنها تريد أن تثير في مقابلها هذه الخصلة الشريفة⁽⁵⁾.

(1) انظر أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (8/ 299)

(2) انظر عباس، فضل حسن، القصص القرآني إيجازة ونفحاته (308)

(3) الدليمي، محمد مطني، سورة القصص دراسة تحليلية (1/ 113)، موقع مكتبة صيد الفوائد:

<http://www.saaaid.net/book/open.php?cat=101&book=918>

(4) حسن رفاعي، الإعجاز التمثيلي في آيات الوصف دراسة تحليلية، دار المعارف مصر، ط1، 1994 م، (1/ 125).

(5) ينظر الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420 هـ. 240/ 12، وأبو حيان، البخر المُحَيِّط: 7 / 114، وابن عاشور، التحرير والتنوير (20/ 103) وانظر الدليمي، سورة القصص دراسة تحليلية ص113.

ونجد أن قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾: يدل فيما يدل عليه على أن المراد بالحياء التربوي أساس من أساسيات السلوك العام والخاص الذي يتوجه، كما يقول علماء النفس والسلوك في أن الحياء خصلة من خصال التربية التي لا يمكن إقامة نظام تربوي متكامل إلا بها، لأن الحياء في أساسه أساس فعل كل شيء، أو الامتناع عن فعل كل شيء⁽¹⁾.

وذكر تمشي ليبي عليه قوله على استحياء وإلا فإن فعل (جاءته) مغن عن ذكر تمشي.

و(على) للاستعلاء المجازي مستعارة للتمكن من الوصف، والمعنى: أنها مستحيية في مشيها، أي تمشي غير متبخررة ولا متثنية ولا مظهرة زينة، والاستحياء مبالغة في الحياء مثل الاستجابة⁽²⁾.

ومن الجدير بالذكر أن الوصف بالحياء يُنبئ عن شخصية واضحة قوية لا خضوع فيها ولا لين فلا يترتب على الحياء ارتباك أو ضعف، وإنما القوة والوضوح، وعليه فلا يعد من فطرية خلق المرأة الخضوع والضعف والترقق في الحال والمقال⁽³⁾؛ ولذلك أفصحت عن مرادها ﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ ومن ثم أدلت بمشورتها بكل اتزان وحكمة وأدب ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجره القوي الأمين﴾.

وتأكيد الجملة في قوله: ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ حكاية لما في كلامها من تحقيق الخبر للاهتمام به وإدخال المسرة على المخبر به، وهو تعبير دقيق يقطع كل شبهة ويمحو من النفس كل شك، فليست هي من تدعوه، وإنما هو أبوها.

والأجر: التعويض على عمل نافع للمعوض، ومنه سمي ثواب الطاعات أجراً، قال تعالى: ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾ [محمد: 36]⁽⁴⁾.

وللفقهاء في مشروعية الإجارة كلام ليس هذا مقام بسطه.

وأما قولها ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجره القوي الأمين﴾.

يقول صاحب البحر المحيط: «وقولها كلام حكيم جامع، لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر، فقد تم المقصود، وهو كلام جرى مجرى المثل، وصار مطروفاً للناس، وكان ذلك تعليلاً للاستئجار، وكأنها قالت: استأجره لأمانته وقوته، وصار الوصفان منبهين عليه»⁽⁵⁾.

- (1) انظر سليمان، عبد الحميد، التربية في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار الرياض، جدة، 1411 هـ، ص 232 – 235، وينظر أيضاً محمد مطني: سورة القصص دراسة تحليلية (1/157).
- (2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (20/103).
- (3) انظر محيسن، هند أمين، الخصائص النفسية للمرأة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في التفسير، كلية الدراسات العليا، إشراف د. محمد المجالي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2008م، ص 63.
- (4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (20/104). 87.
- (5) أبو حيان، البحر المحيط (8/299).

وفي كلام الفتاة ما يفصح عن حكمة وبداهة وفراسة، يقول ابن مسعود: «أفرس الناس ثلاثة: بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله: ﴿عسى أن ينفعنا﴾، وأبو بكر في عمر»⁽¹⁾.

وجملة ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ علة للإشارة عليه باستئجاره، أي لأن مثله من يستأجر، وجاءت بكلمة جامعة مرسلة مثلاً لما فيها من العموم ومطابقة الحقيقة بدون تخلف، فالتعريف باللام في القوي الأمين للجنس مراد به العموم، والخطاب في ﴿مَنْ اسْتَأْجَرَ﴾ موجه إلى الأب، وصالح لأن يعم كل من يصلح للخطاب لتنتم صلاحية هذا الكلام لأن يرسل مثلاً، فالتقدير: من استأجر المستأجر، ومن موصولة في معنى المعرف بلام الجنس إذ لا يراد بالصلة هنا وصف خاص بمعين⁽²⁾.

وجعل خير من استأجرت مسندا إليه بجعله اسماً لأن جعل القوي الأمين خبراً مع صحة جعل القوي الأمين هو المسند إليه فإنهما متساويان في المعرفة من حيث إن المراد بالتعريف في الموصول المضاف إليه خير، وفي المعرف باللام هنا العموم في كليهما، فأوثر بالتقديم في جزأي الجملة ما هو أهم وأولى بالعناية وهو خير أجبر، لأن الجملة سبقت مساق التعليل لجملة استأجره فوصف الأجير أهم في مقام تعليلها ونفس السامع أشد ترقباً لحاله⁽³⁾.

ومجيء هذا العموم عقب الحديث عن شخص معين يؤذن بأن المتحدث عنه ممن يشمله ذلك العموم فكان ذلك مصيباً المحرز من البلاغة إذ صار إثبات الأمانة والقوة لهذا المتحدث عنه إثباتاً للحكم بدليل، فتقدير معنى الكلام: استأجره فهو قوي أمين وإن خير من استأجر مستأجر القوي الأمين، فكانت الجملة مشتملة على خصوصية تقديم الأهم وعلى إيجاز الحذف، وبذلك استوفت غاية مقتضى الحال فكانت بالغة حد الإعجاز، كما هو القرآن كله⁽⁴⁾.

إنها لفئات وإشارات تدل على عظمة المضمون وروعة النظم وجودة السبك وربانية التنزيل ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

الخاتمة والتوصيات

وبعد هذه الجولة القصيرة في الوقوف على بديع النظم القرآني في الآيات التي عرضت شخصية المرأة في سورة القصص، فإنه يتضح للقارئ عدة أمور:

1. تبدو مظاهر الإعجاز البياني في الآيات التي عرضت شخصية المرأة في سورة القصص واضحة جلية.
2. تعد سورة القصص من السور ذات النصيب الأوفر في ذكر القصص المتعلقة بالمرأة المسلمة وإن كان القصص المتعلقة بالمرأة جزءاً من كل وهو قصة نبي الله موسى.

(1) أبو حيان، البحر المحيط (8/299).

(2) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (20/105).

(3) انظر المرجع السابق (20/106).

(4) انظر المرجع السابق (20/106).

3. تنوعت أدوار المرأة المسلمة في سورة القصص فشملت الأم و الابنة والزوجة .
4. تميزت الآيات ببراعة الأسلوب وجميل التصوير من خلال ما جاء فيها من فرائد وفوائد وجواهر ودرر أشاد بها أرباب اللغة وأئمة التفسير.
5. اشتملت الآيات التي عرضت شخصية المرأة في سورة القصص بنظمها على قيم عظيمة وأخلاق رفيعة تمثل الأنموذج الأكمل والأصلح في القدوة الحسنة للمرأة المسلمة.
6. لا يزال موضوع الإعجاز البياني للقصص المتعلقة بالمرأة بحاجة إلى مزيد دراسة وإفادّة وإنزالٍ على أرض الواقع.

Sources and references (Arabic & English)

- Ebraheem Mustafa and others, *Almujam Alwaseet*, Arabic Language Complex, Dar Aldawa, no edition.
- Abu hayan, Muhammad bin Yosof (745) *Albahr almuheet fe Atafseer*, investigation: Sedkie Muhammad. Dar Alfikr- Bayrout (1420).
- Abu Al souod, Muhammad Al Emady. (951). *Ershad Alaql Esalem*, Dar Ehyaa Al-turath Al-arabie.
- Ebn Atiyah AL-andalusy. (542). *Al-Muharrar Al wajeez fe tafseer alkitab al azeez*, investigation: Abd Assalam Muhammad, Dar ALkotob ALElmyah, Bayrout, Edition 1, (1422).
- Ebn Fares ALqazweny, abu alhusain. (395). *Mujam Maqayees Alluga*, investigation: Abd Assalam haroon, Dar Alfikr, 1979.
- Al-Baq'a'i, Ibrahim bin Omar bin Hassan bin Rabi bin Ali bin Abi Bakr (885). *Nadem Edwrar fe Tanasub Alayat wa Swar*, Dar Alktab Aleslami, Cairo.
- Al-Baidawi, Nasiruddin Abu Sa'eed Abdullah Bin Omar bin Mohammed Al-Shirazi Al-Baydawi. (685). *Tafseer albaidawi*, investigation: Mohammed Abdul Rahman Al-Marashli. Dar Ehya'a Altrwath Alarabi - Beirut, I – 1418.
- Al-Jarjani, Abu Bakr Abdul Qahir bin Abdul Rahman bin Mohammed Al-Farsi. (p. 471 e). *Dela'el Elejaz fe Eilm Alma'ani*, Ahmed Shaker, Cairo Civil Press - Dar Al Madani, Jeddah.

- Hakim, Dr. Sa'ad Al-Qarani. *Women's Speech*, Dar Al-Maarifah. Beirut. First edition, 1988. Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Hassan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhr al-Din Khatib al-Rai (died: 606) Altafseer Alkaber, Dar Ehea'a Altwrath Alarabi – Beirut.
- Al-Rafi'i, Mustafa Sadeq Al-Rafi'i, *Ijaz al-Qur'aan and Prophetic Propagation*, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 8th edition, 1425.
- Rifai, d. Hassan, *Elejaz Altamtheily in the verses of description*. An analytical study. Dr. First Edition. Dar al marifah in Egypt. 1994.
- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud ibn 'Umar (d. 538 e). *Al-kashaf an hakaeq al-tanzeel*, oyoon al aqayeel fe wojooh al taweel, Dar Alcutub Al elmeyah, Beirut. (1995).
- Al-Sakaki, Yousef bin Abi Bakr bin Mohammed bin Ali. (626). *Miftah al-Uloom*, Dar al-Kuttab al-Ulami, Beirut-Lebanon, second edition, 1407H-1987.
- Sulaiman, dr. Abdul Hamid Sulaiman, *Education in the Holy Quran*, First Edition. Dar ARiyadh.Jaddah, 1411.
- Al - Shaarawi, Muhammad Metwalli Al - Sha'rawi (interpretation of the meaning).
- Ibn Ashour, Mohamed Eltaher Ben Mohamed Ben Mohamed Eltaher Ben Ashour Tunisian (died: 1393 hijri) *Atahrer Wa Altanwer*, Dar Altunseh lansher, Tunisia 1984.
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer Abu Jaafar al-Tabari (died: 310 AH) *Jame'a Albayan*, investigation: Ahmed Mohammed Shaker, Foundation letter, edition: First, 1420hijri-2000
- Abbas, Fadl Hassan, *Quranic Stories Ihata and Nafah*, Dar Al-Furqan, Amman I 2, 1992 AD.
- Abdul Hakim, *Sulaiman's Altashkhees Albayani in the Holy Quran*. Beirut, Lebanon First Edition. 1994

- Al-Qusheiri, Abdul Karim bin Hawazin bin Abdul-Malik al-Qusheiri (D. 465 hijri) *Lata'ef Elesharat*, edition 3.
- Al-Qazwini, Muhammad ibn Abd al-Rahman Ibn Umar Abu al-Ma'ali Jalal al-Din (d. 739 hijri), *Aledaah fe Uloom Albalaqeh by: Mohamed Abdel-Moneim Khafagy*, Dar al-Jail, Beirut,
- Qutb, Sayed, *in Delal Alquraan*, Dar Ehea'a altwrath Alarabi, Beirut Lebanon I 12, 1412 hijri.
- Al-Mawardi Abul-Hassan Ali bin Mohammed bin Mohammed bin Habib al-Basri al-Baghdadi, (deceased: 450 hijri). *Alnukat wa Alyoun*, investigation, Mr. Ibn Abd al-Maqsud bin Abdul-Rahim, Dar al-Kuttab al-Ulami - Beirut / Lebanon.
- Mohsen, Hind Amin Mohsen, *The Psychological Characteristics of Women in the Holy Quran*, Master Thesis in Interpretation, Supervised by Dr. Mohammed Al-Majali, Graduate School, University of Jordan, 2008.
- AL-dulaimee, d. Muhammad-Matni, *Al-Qasas Analytical Study*, <http://www.saaaid.net/book/open.php?cat=101&book=918>.
- Nofal, Dr. Ahmed Ismail. *Interpretation of Surah Al-Qasas an Analytical Study*, Hura Quranic Center, Society for the Preservation of the Holy Quran, 1, 2005
- Al-Nasafi, Abu Al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud Hafez al-Din (deceased: 710 hijri), *Madarek Altanzeel and Haqa'eq Alta'weel*, the investigation: Yusuf Ali Badawi, Dar al-Kalam Tayeb, Beirut, 1, 1419 hijri 1998.